﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾

[طه: 110]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربـطُ الشَّفاعة بـالإذن من الله متـعـلَّقٌ بـعـلَّةِ علمِ الله المحيط بهم

بعدَ أن نفى النَّظمُ الجليل أن تقع الشَّفاعةُ بغير إذن الله تعالى؛ أتبعَ ذلك ببيان علَّته، بقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾، فعلمُهُ سبحانه محيطٌ بهم، فهو يمنع قلوبهم في ذلك اليوم بما يوجد من الأسباب، أن تهمَّ بما لا يرضاه[1]، وهو تعالى "يعلم ما بين أيدي العباد من شؤون الدُّنيا، وما خلفهم من شؤون الآخرة، وهم لا يعلمون شيئًا من تدبيره وحكمته"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُحِيطُونَ﴾: (حوط) أصلٌ يدلُّ على الشَّيْءِ يُطيفُ بِالشَّيْءِ[3]، وأحاطَ به، أي: عَلِمه، وأحاطَ به علمًا[4]، والإحاطةُ تقال على وجهين: أحدهما: في الأجسام، نحو: أَحَطْتُ بمكان كذا، أو تستعملُ في الحفظ، نحو: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٌ ٥٤﴾ [فصّلت: 54]، أي: حافظ له من جميع جهاته، والثّاني: في العلم نحو قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمًا ١٢﴾ [الطّلاق: 12]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران: 120]، والإحاطة بالشَّيء علمًا، هي أن تعلم وجوده وجنسه وقدره وكيفيَّته، وغرضه المقصود به وبإيجاده، وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلّا لله تعالى، وقال ﷻ: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [يونس: 39][5].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 348.
(2) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 2430.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حوط).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (حوط).
(5) الرّاغب، المفردات: (حيط).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرُ النَّظمُ الكريمُ أنَّ اللّه تعالى وحده "هو الَّذي يعلم جميع أحوال خلقه، سواءٌ ما كان منها يتعلَّق بما بين أيديهم من أمور الآخرة، وأهوال الموقف، أم ما كان منها يتعلَّقُ بما خلفهم من أمور الدُّنيا، أمّا هم؛ فإنَّهم لا يحيط علمهم لا بذاته تعالى، ولا بصفاته، ولا بمعلوماته"[1].

العلمُ بأحوال الخلق مقصورٌ على الله تعالى الَّذي يحيط ولا يحاط به

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الجملة في صدر الآية الكريمة:

فصل النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ لأنَّها مستأنفة استئنافًا بيانيًّا؛ سيقت لبيان علَّةِ انتفاء وقوع الشَّفاعة إلّا بإذنه، فعلمُهُ سبحانه محيطٌ بهم، فهو يمنع قلوبهم أن تهمَّ بما لا يرضاه[2].

علَّةُ اقتصارِ الشَّفاعة على فئةٍ؛ لعلمه بسرِّهم وعلانيّتهم

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع:

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ للدَّلالة على دوام علمه تعالى بهم في سائر أحوالهم في الدّارين، والمعنى: أنَّ اللّه تعالى يعلمُ كلَّ شاردة وواردة من أمر عباده، ممّا يختلج في الصُّدور، أو يجري على الألسنة، فما ينطقون به، وما لم ينطقوا به، هو في علم اللّه المطَّلع على الخبايا والأسرار، والَّذي لا يعزب عنه شيء، أمّا هم؛ فإنَّهم لا يملكون قدرةً للإحاطة باللّه ﷻ، ولا يدركون كنهه، ولا يعلمون حقيقته؛ لأنَّه لا يعلم حقيقة اللّه، إلّا اللّه جلَّ في كماله وعلاه[3].

علمُ الله تعالى محيطٌ بالعباد على وجه الكمال والدَّوام

جمالُ الكنايةِ عن الظّاهرات والخفيّات في الآية:

كنّى النَّظمُ الجليل عن الأعمال الظّاهرة والخفيَّة، في قوله

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 154.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 348.
(3) عبد الكريم الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 829.

تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، فما بين أيديهم: هو ما يعلمونه، وما خلفهم: هو ما غاب عنهم علمُهُ[1]، وتقدَّم الكلام عن ذلك بأنَّ المقصود علمُهُ بأحوالهم في الدُّنيا والآخرة، وقيل أيضًا فما يعلمونه هو كنايةٌ عن الأعمال الظّاهرة؛ لأنَّ شأن ما بين الأيدي أن يكون واضحًا، وما خلفهم كنايةٌ عن الأعمال الخفيَّة؛ لأنَّ شأن ما يُجعل خلف المرء أن يكون محجوبًا غير ظاهر[2].

ظاهرُ الأماكن وخفيُّها دليلٌ على صفة الأعمال

بلاغةُ الطِّباق بين الظَّرفين:

جمع النَّظمُ الجليل بين لفظين دالَّين على جهتين متضادَّتين في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، فما كان بين اليدين: فهو يشير إلى الأمام الَّذي هو نقيضُ الخلف، وهذا جمعٌ لجميع جهات العلم المتعلِّق بأعمال العباد، فأفاد الطِّباق بالإضافة إلى جماليَّة جمع المتناقضين معنًى بليغًا مؤكِّدًا شمولَ علمِه تعالى.

علمُ الله تعالى شاملٌ محيط بكلِّ الأزمنة والأمكنة

فائدةُ التَّذييل وعلاقته بالسّياق في الآية:

الجملةُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ سيقت للتَّذييل، والفائدةُ من هذا التَّذييل تعليمُ العباد عظمةَ علم الله تعالى مع بيان ضآلةِ علم البشر[3].

إرشادُ العبادِ إلى سَعةِ علم الله تعالى ببيان قصورِ علمهم

سرُّ التَّعبير بالمضارع ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾:

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؛ للدَّلالة على استمرار النَّفي وتجدُّده، فنفيُ علمهم دائمٌ لا ينقطع بمرِّ الأزمنة، والرَّحمنُ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أيْديهم، وما خَلْفَهُم، فلا يخفى عليه شيءٌ من أحوالهم وأسرارهم، يعلم ما مضى من أحوالهم، وما بقي منها، ولا يُحيطُونَ بِهِ، أي: بما بين

بيانُ قصورِ علم الخلائق عن إدراكِ كنه علم الله تعالى

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 348.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 311.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 311.

أيديهم وما خلفهم عِلْمًا؛ لأنَّ علمَهم قاصرٌ، وعقولهم محدودة، ووسائل الإدراك عندهم لا تتجاوز ما أتاح اللّه لها من قدرات قاصرة، فيبقى بها الإنسان عاجزًا عن إدراك ما أودع اللّه في الكون حوله من عجائبَ وخوارقَ.

دلالةُ التَّنكير في لفظ العلم:

ما علمَ العبادُ إزاء علم الله تعالى إلّا قطرةً من بحر

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بصيغة التَّنكير في العلم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾؛ لنفي أيِّ علم كان، فمجيء النَّكرةِ في سياق النَّفي دالٌّ على الاستغراق، فهم لا يملكون أيَّ علمٍ من العلم الَّذي يمكِّنُهم من الإحاطة به، فـ"لا يحيط علمهم بمعلوماته تعالى، وقيل: المرادُ لا يحيط علمهم بذاته سبحانه، أي: من حيث اتِّصافُهُ بصفات الكمال الَّتي من جملتها العلم الشّامل"[1].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 574.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»